١٣

المكتبة الوطنية

الشاعر والمقاتل

برهان العبوشي

د. علي الخواجا

SPC
PJ
7810
.B3
Z65
2008
BZU

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

Acc. # 20440

المكتبة الوطنية ١٣

بُرهان الدين العَبّوشي

(١٩١١ - ١٩٩٣)

د. علي الحوراني

مركز المخطوطات بيرزيت
المجموعات الخاصة
Special Collections
BIRZEIT UNIVERSITY LIBRARY
SPC
PJ
7810
.B3
Z65
2008
B2

المركز الفلسطيني للبحوث والدراسات الاستراتيجية

Digitized by Birzeit University Library

الهيئة الإستشارية

سميح القاسم

د. يونس عمرو

د. جواد وادي

محمد علي طه

د. علي زيدان

أنطوان شلحت

الإشراف الفني

سمير حنون

التحرير

منذر عامر

المجموعة الثانية / الطبعة الأولى / أيار – مايو ٢٠٠٨ .

صدرت المجموعة الأولى من هذه السلسلة في شباط – فبراير ٢٠٠٨.

Digitized by Birzeit University Library

مقدمة

"هو أحد تلك الكوكبة من الشعراء الفلسطينيين الذين جادت قرائحهم جراء أوضاع فلسطين السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية المزرية، حيث رفدوا الحركة الأدبية بعامة، والشعرية بخاصة بإبداعاتهم التي لاقت آذاناً مصغية، فسرت دماً نقياً في الشرايين. أولئك الذين عُدّوا طلائع الحركة الشعرية، ورواد نهضتها، لنتاجاتهم الشعرية في أبعادها السياسية وطنياً، وقومياً، ولمجاوزتهم اللغة الشعرية بمواضعاتها الحرفية، كما كان سائداً إبان الحكم العثماني"[1]. هو من "الذين وهبوا فكرهم، وكلمتهم لخدمة وطنهم، رغم عدم شهرته كغيره من أقرانه في الوسط الأدبي، وكانت الدراسات عنه قليلة، فهو لم يأخذ حظه منها، إلا أنّ نتاجه الأدبي والشعريّ يدلان على شاعريته، وانتمائه لوطنه المغتصب، فقد قرن الكلمة بالسلاح في مواجهة المحتلين؛ فجرح، وسجن، وعذب، في معتقلات "عوجة الحفير، وصرفند، ومزرعة عكا" وأضرب ثمانية أيام عن الطعام في أحد السجون"[2]. لذلك، فإنه يمثل عينة أدبية ريادية، لها مجالها اللغوي الذي تتحرك فيه، ما يجعل لشعره طبيعة دلالية خاصة تميزه من غيره.

Digitized by Birzeit University Library

سيرته

ولد برهان الدين العبّوشي في مدينة جنين الفلسطينية، في السابع من كانون الأول سنة ١٩١١، لأب عربي اسمه الحسن، وأم اسمها "مشخص" [٣]، وعاش أيام طفولته في العهد التركي. وما أنْ بلغ السابعة من عمره حتى دخل الإنجليز مدينة جنين، وبذلك يكون قد عاش فترة المعاناة، التي سبّبها الاحتلال منذ نعومة أظفاره.

أمضى ردحاً من حياته في الريف الفلسطيني، فأحسّ بقيمة الأرض، وجمالها، وأكل من إنتاجها، وشرب من ينابيعها، وطوّف في جبالها، ورتع في جناتها، وجنباتها وخمائلها، وتشرّب من مبادئها، وأخلاقها [٤]، فأحبّها، ودافع عنها بدمه ولسانه.

وبعد النكبة التي حلّت بشعب فلسطين عام ثمانية وأربعين، رفض العيش في ظلّ الاحتلال، ففضل الرحيل مع الأدباء إلى المهجر، ليعود مع الفاتحين المحررين، ومن هنا بدأت رحلة التشتت والتشرد نتيجة احتلال الوطن، فطوّف على البلدان العربية المجاورة، فرحل إلى لبنان وهناك طبع مسرحيته الشعرية "شبح الأندلس"، ثم استقر في بغداد، وحصل على الجنسية العراقية، وشارك في ثورة ١٩٥٨، ونظم فيها شعراً.

وفي العراق ضمته وزارة المعارف إليها، وتزوّج عراقية من آل الحافظ التونجي في الموصل، وكان عمره أربعين سنة، فرزق منها بولدين هما: سماك والحسن [٥].

"ولكي أحصل على معلومات أكثر عن حياة الشاعر، قمتُ بزيارة إلى جنين، حيث وُلِد العبوشي، وأجريت مقابلة مع أحد أصدقائه

Digitized by Birzeit University Library

القدماء، الذي عاصره في فترة حياته الأولى، وهو محمد أبو دياك، حيث حدثني عن الشاعر قائلاً: "كان برهان إنساناً منتجاً، ورجلاً عصامياً فقد عمل في المصرف العربي بحيفا موظفاً، وعمل معلماً في المدارس الخاصة بها، وكان وقتئذٍ ينظم الشعر الوطني، ويطبعه على شكل نشرات يوزعها على الناس ليستثير هممهم - لأنّ وضع البلاد يتطلب ذلك - وبقي في حيفا حتى سقوطها سنة ١٩٤٧، فرجع إلى مسقط رأسه جنين، وحمل بندقيته، وشارك في المعارك التي دارت رحاها مع اليهود عام ١٩٤٨ مثل: معركة اللجون، ومعركة المنسي، ومعركة زرعين، ومعركة جنين، التي انتصر فيها المقاومون وقد جرح العبوشي في تلك المعركة.

ويضيف محمد أبو دياك أن تحصيل العبوشي العلمي لم يتجاوز الصف الأول الإعدادي، وهذا الرأي يتناقض مع آراء من ترجموا لحياته، الذين يقولون: إنه درس عاماً في الجامعة الأمريكية في بيروت، ثم فصل لأسباب سياسية"[٦].

وهذا يدفع إلى عدم أخذ رأي محمد أبو دياك على محمل الجد؛ لأن الشاعر افترق عنه منذ عام ١٩٤٨، ولم يُعرف عن أخباره شيء.

ومهما يكن الأمر، فإن العبوشي "رابع أربعة من الشعراء الفلسطينيين، الذين ولدت على أيديهم قصيدة المقاومة الفلسطينية: إبراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود، وعبد الكريم الكرمي، وبرهان الدين العبوشي، ومعهم حسن البحيري، ومطلق عبد الخالق، وغيرهم[٧].

Digitized by Birzeit University Library

ثقافته وعلمه

كان العبوشي مثقفاً، وواعياً ومدركاً لما يدور حوله من مؤامرات على وطنه،وكان يدعو لتجسيد الوحدة العربية، كي تتحطم عليها كل المؤامرات الرامية لاحتلال الوطن، يقول:

لبيكَ سَيُضْرِمُها بطلٌ عربيُّ الثأرِ أيا وَطَني
فترى أعلامَكَ خافقةً مِنْ أرضِ القدسِ إلى عَدَنِ (٨)

وبالنظر إلى التركيب اللغوي المؤلف لهذين البيتين، نرى تنوعاً في الأسلوب بين الخبر والإنشاء. فجُملة (سيضرمها بطل عربي الثأر) خبرية موسعة؛ لأن فعلها تعدى لمفعوله، وجاء الفاعل منعوتا، وقد جاءت الرتبة في هذه الجُملة على غير الأصل إذ تقدم المفعول به (الهاء) وجوباً على الفاعل الظاهر (بطل). أما جُملة (أيا وطني)، فإنشائية؛ لأن صيغتها نداء، وقد استخدم أداة النداء (أيا)، وجاء المنادى منصوباً لأنه مضاف لياء المتكلم التي دلّت على توحد الشاعر في موضوعه توحّد انتماء نفساني . إن اتصال دال "وطن" بضمير المتكلم "ي" اتصالاً نحوياً بالإضافة، ترتب عليه أنْ ضاقت المسافة بين المضاف [الموضوع] والمضاف إليه [الذات]، بما يشير بوضوح إلى مسألة وعي الذات الشاعرة بكيانها الذي يتصل بالآخر [الوطن] اتصالاً مباشرا على المستوى البراني كمكان جغرافي، وعلى المستوى الجواني كجغرافيا وجدانية، فأُثْري المقصود الدلالي وقُوِّي.

وقد عرف العبوشي بثقافته التراثية الدينية، وكان كاتباً، وشاعراً، ومسرحياً وذا مواقف وطنية (٩). لقد تلقى العبوشي علومه على مراحل،

Digitized by Birzeit University Library

وفي مناطق مختلفة، فقد "توزعت مراحل دراسته الابتدائية والثانوية، بين مسقط رأسه، ونابلس، والشويفات في لبنان" [١٠]، وقال عنه سميح القاسم: "كانت دراسته في كلية النجاح بنابلس، ثم في الكلية الوطنية في الشويفات" [١١].

نضاله وفكره

نشأ العبوشي والأخطار محدقة بوطنه، فرضع حليب الثورة ضد الغزاة الغاصبين، وحمل شعاراً وطنياً ردَّده، وتغنى به في كل أرض حلّ بها: "بالفدائي العربي، وببندقيته وبالرصاص، يحيا الوطن، وتُستردّ فلسطين".

لقد كان العبوشي ثائراً بفكره وشعره، ويده، لأنه يرى وطنه مهدّداً بالضّياع، وأمته بالنّسف، يقول: "أضحك ساعة أعود للبيت، لأثور ثانية على إناء لم يوضع في محلّه، أو وسادة عبث فيها طفل، فأزاحها عن مكانها، أثور لهذا ... فكيف لا يثور فكري لوطن يضيع وأمة تنسف [١٢]؟!

فبرهان الدين كان مؤمناً بأن نضاله ضد الأعداء المستعمرين واجب وطني فهو لا يكتفي بالكلمة، وإنما قرنها بالسيف، لإدراكه أن الكلمة لا تقتل، ولا تحرر وطناً وإن كانت توقظ النيام، وتحرّض الشباب، وتُثوِّر دمهم لمحاربة الأعداء المحتلين، فالشاعر يعلن أنه يتقن الحرب، كما يتقن نظم القوافي، يقول:

وقدْ عَجِبُوا هَلْ يتقنُ الحربَ شاعرٌ فقَدْ كَانَ حَسّانُ يفرُّ ويقعد

Digitized by Birzeit University Library

ومَا شُعراءُ القومِ إلا دُرُوعُهـــــم أصنعتُهم أنْ يشْرَبُوا أو يُغرِدُوا[١٣]

لقد نوّع الشاعر في الأساليب اللغوية في هذين البيتين، فقد جاءت الجُمَل الخبرية مؤكّدة بوساطة قد، و (ما + إلا)، وجاءت الجُمَل الإنشائية استفهامية، حيث استخدم حرفي الاستفهام هل، والهمزة اللذين أفادا – من وجهة نظر الآخر– نفي إجادته الحرب، وأفادا إثبات إجادته الحرب من وجهة نظر الذات الشاعرة.

وشارك العبوشي في المعارك التي نشبت ضد الغزاة، دفاعاً عن وطنه وشرفه طالباً الشهادة، كما أسهم بفعالية في الثورات التي قاومت الاحتلال، مثل: ثورة عز الدين القسام سنة ١٩٣٦، فاعتقلته السلطات البريطانية وسجنته، وهو لم يتوان لحظة واحدة حين يسمع نداء الوطن والجهاد، يقول: "لقد طلبنا الشهادة في الميدان فأخطأتنا، فهل ننالها في الجولة الثانية؟ إنها خير رسالة يكتبها أديب بمداد دمه.."[١٤].

كما شارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني سنة١٩٤١ ضد الإنجليز، فجرح في معركة نشبت في (صدر أبو غريب) غربي بغداد، ثم عاد سرّاً إلى فلسطين، وأسهم في تحريض أبناء شعبه على الاحتلال، والتحق بإخوانه المجاهدين ضد العدوّ الصهيوني في سهول جنين، وهناك أصيب بجرح بالغ أيضاً، فكتب شعره بدمه لا بخياله، وبعد حلول مأساة فلسطين قصد بغداد ثانية، وعمل هناك معلماً حتى سن التقاعد سنة ١٩٧١ [١٥].

لم يكن العبّوشي إقليمي النزعة، بل كان ينظر للوطن العربي على أنّه وطنه الكبير، وأن الاحتلال لا يفرق بين فلسطين، والعراق، والجزائر، وسوريا، وغيرها من الدول العربية، فنراه يحارب، فيجرح في العراق،

Digitized by Birzeit University Library

فهو: "عصبيٌّ في قوميته.. يؤمن أشد الإيمان أن السياسة الاستعمارية بفلسطين، ليست إلا حرباً صليبية، وهو لا يؤمن بالسياسة والدبلوماسية، أو يعترف بهما، ولا يؤمن بالمعاهدات والمفاوضات، فهو رجل حرب، وجندي الوطن، ولا غرو في ذلك، فهو يعتقد اعتقاداً جازماً أن لا حلّ لقضية البلاد إلا عن طريق الثورة، والثورة لا غير[١٦].

كان العبوشي ذا فكر ثوري، يدعو لإنقاذ البلاد من الضياع، والاستعمار، فالثورة هي الكفيلة بتحرير الأوطان من براثن الاستعمار، ولا مجال عنده للسياسة والدبلوماسية، وهذا واضح في شعره، يقول:

وقالُوا: هُدْنَة فُرِضَتْ علينـــا لقد فَرَضُوا وربِّك أنْ نَضيعَا[١٧]

وكان يؤمن بأن بالموت حياة حرة، هانئة، كريمة، وسبيلاً واضحاً من سبل السعادة التي يحلم الإنسان ببلوغها، ويسعى – على الدوام – إليها، وهذه رومانسية تضع بالموت نهاية للعذابات، وتفتح رتاجات السعادة، لذلك نراه يتمنى الموت تفاؤلاً بحياة أفضل في حنايا الوطن وربوعه. يقول في قصيدة "تعالوا"[١٨]:

وما الموتُ إلا واحدٌ إنْ خشيتـــهُ أتاك وإنْ تقحمْهُ فرَّ وهَرْولا

فخضْهُ فما بالسلم عزٌّ لصاغـــرٍ ولا ترضَ غيرَ الموتِ بالعزِّ منْهلا

ويقول في "نشيد الزحف"[١٩]:

كلنا فدى نعشـــق الردى

إنْ بغى العدا نحن للوطنْ

Digitized by Birzeit University Library

ويقول في قصيدة "يا بلادي"[٢٠]:

هاكِ روحـي ومهجـتي وفؤادي فاقبليها فما تعزّ علينا

ووقف العبوشي مناهضاً لظاهرة الإقطاع، واعتبرها آفة سيئة، إذ من حق الفلاح أن يتمتع بحقوق في أرضه وبلاده، يقول:

يَا أُمَّتِي إنَّما الإقطـاعُ آفَتُنـا مَتَى أَرَاهُ تَولّى عَنكِ وانْدَثر[٢١]

تبنى العبوشي فكرة الوحدة العربية، ودعا إليها، وآمن أنه من خلالها وبها سترد فلسطين، وتحرر بإذن الله، وهذه فكرة رائعة، لأن الاتحاد قوّة، والاستعمار يمارس سياسة "فرّق تسد"، يقول في قصيدته "تعالوا":

تَعَالُوا نَضمَّ الشملَ فالحيّ قد خَلا وقـائِدُه نـاءٍ، ونـاديـه مُبْتَلا

تَعَالُوا فإنّا أخوةٌ مـن سلالـةٍ تباهتْ بها الدنيا وسادتْ على المَلا

تَعَالُوا ففي التوحيد يـا قومُ قـوةٌ سنقلب فيها الظلمَ والشرَّ أسفلا[٢٢]

ولأنه تبنى تلك الفكرة، ودعا لها، فقد رأى في الدول العربية – التي قضى فيها حياته مشرداً – وطناً مثيلاً، تعني له ما تعنيه فلسطين، يقول:

فرحلتُ عَن وَطَنِي الصغيرِ لأكبر وَجَلوتُ دَاجِيَ الهـمّ بالإشراق[٢٣].

ولما كانت الشيوعية منتشرة، وفكرها يغزو الوطن العربي، رفض فكرتها ولم يؤمن بها، ولا بفكرها، فهو مستقل بفكره، ولا يتبع الأجنبي،

Digitized by Birzeit University Library

ولو كان ملاكاً، لأنه ناصر الصهيونية، كي تستقر في وطننا فلسطين.

ومن خلال تتبعنا لأشعار العبوشي، وجدنا أن أفضل المبادىء عنده الدين الإسلامي، فالذي يتبع هذا المبدأ، ويسير على نهجه، يسعد ويسود في الدنيا والآخرة، يقول في قصيدة "سألهب الأرض":

خيرُ المَبَادِىء في قُرْآننا نَزَلَـتْ فَمَنْ تزوَّدَ مِنْ آلائِهَا سَعُدَا[٢٤]

نستنتج مما سبق، أن العبوشي كان ثورياً وداعياً للثورة، ومحرضاً الشباب على تفجيرها وإشعالها؛ لأنهم وقودها، وأنه كان صادقاً في وطنيته، محبّاً لوطنه وشعبه، وأنّه كان قومياً، يحسب أنّ قضية فلسطين هي قضية العرب والمسلمين كلهم أجمعين، وأنّ فكره تراثي إسلامي، غير تابع لمنهج غربي، أو فكرة دخيلة، فهو القائل: "ولا أرضى بغير العروبة مبدأ، والقرآن كتاباً"[٢٥].

شعره

للعبوشي نتاج أدبي كبير، فهو شاعر، ومسرحي، وكاتب. والشعر عنده ليس مجرد نظم كلمات يشار إليها بالبنان، بل ثورات نفسية عاطفية، تجيش في صدر الشاعر، لينفثها لأبناء شعبه على اختلاف مداركهم، وطبقاتهم، ليفهموها؛ لأنّه صادر عن آلامهم ومشاعرهم[٢٦].

وقد عُرف العبوشي بمواقفه الوطنية الملتزمة، "ولا شك أن هذه المواقف الوطنية الخطابية، قد تركت طابعها الواضح على شعره، فجاء في أكثره تقريرياً مباشراً"[٢٧].

Digitized by Birzeit University Library

"ولا ريبَ في أنّ الناقد الذي لا يعرف العبوشي، ومشاركته العريضة في أحداث بلاده بالشعر والعمل معاً، ويكتفي بأن يحتكم في نقد شعر العبوشي إلى الأصول الفنية المجردة، سيغبن شاعرنا ويبخسه حقه" (٢٨). ولعلّ السبب في ذلك الأحداث الخطيرة التي مرّت بها فلسطين. ويمكن تشبيه شاعرنا من الناحية الفنية بشعراء الفتوح الإسلامية، فهو يريد أن يعبّر عن موقف فحسب، ولا ينظر للعوامل الفنية، والزخرفة اللفظية.

ولقد تأثّر العبوشي بعدّة عوامل، من ضمنها: "الدور الوطني الإيجابي الذي قام به هؤلاء الشّعراء والأدباء" (٢٩).

ويرى ناصر الدين الأسد أن شعر العبوشي كغيره من الشعر الفلسطيني، الذي يلاحق دواعي الحياة الوطنية في فلسطين ومتطلباتها، يشبه الرجز الذي كان ينظمه العربي خلال خوضه المعارك، حيث كان الناس يرتجزون للحض على القتال، وهذا الرجز هو نتاج الساعة، فلا يستقيم فهمه، ولا نقده إلا بفهم ومعرفة العوامل المحيطة به، والتي دعت إليه (٣٠). ويذهب الباحث إلى ما ذهب إليه الأسد، ويؤيده ويأخذ برأيه.

وينظر العبوشي للشاعر على أنه الشخص الذي يشارك قومه ومجتمعه في الأحداث ولا يقتصر على الشؤون العاطفية والشخصية، فهو القائل:

وقد عَجِبُوا هَلْ يُتقنُ الحربَ شاعرٌ فقد كانَ حسّانُ يفرّ ويقعد

وإذا نظرنا إلى الأسلوب في شعره، فإننا نجده خطابياً، تقريرياً مباشراً، كأنه معلم يلقي بمعلوماته على الطلاب، وكان للمناسبة دور

Digitized by Birzeit University Library

كبير في قول الشعر وتحريكه عند العبوشي، فجاء في مُجمَله حافلاً بموضوعات التوجيه والنقد الوطني اللاذع.

وقد اتخذ من الشعر العمودي قالباً لبناء شعره، فجاء شعره تقليدياً، قائماً على وحدة البيت، وعمودية القصيدة، ولا ننسى أن العبوشي عني بعباراته، وجزالتها وألفاظه وفخامتها، وطنين الأوزان، مع أنه ثوري عاطفي في جُمْلَته [٣١].

فقد نظم اثنتي عشرة قصيدة على بحر صافٍ هو "الكامل" الذي استُعمل في موضوعات وطنية، وسياسية، ومدحية. يبدو أن السبب في ذلك عائد إلى أن الشعر الوطني والقومي الفلسطيني، هو شعر خطابيّ منبريّ بالدرجة الأولى، تطلّب إلهاب حماس الجماهير، وشحذ هممهم، وقد تطلب هذا - بدوره - موسيقى ذات رنين صاخب، ونبرة عالية، فكان الكامل مَنْ لبى هذه الرغبة؛ ذلك أنه "أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات. وفيه لونٌ من الموسيقى يجعله - إن أُريد به الجد - فخماً جليلاً مع عنصر ترنّميّ ظاهر" [٣٢].

إن الناظر في قصائد هذا البحر عند برهان الدين العبوشي يرى النفس الغاضب الحر ينتظمها، ويهيمن عليها، والعاطفة فيها من النوع الشديد الوضوح الذي لا يحتاج إلى شرح أو تفسير؛ فالعاطفة تصل بما تحمل من معنى أو دلالة، إلى وجدان المتلقي، منسابة دونما عائق أو واسطة، محققة - بذلك - تناغماً تاماً وروح المرحلة السياسية، بهيمنة الاستعمار البريطاني والفرنسي البغيض على المنطقة العربية بأسرها [٣٣].

أمّا الموضوعات الشعرية التي تضمنها شعر العبوشي، فهي: الفخر،

Digitized by Birzeit University Library

والمديح، والغزل، والرثاء، والغرض الوطني، إضافة إلى غرض جديد، وهو شعر النكاية [٣٤]، وقد لاحظنا أن الغرض الوطني في شعره احتل مساحة واسعة، فهو غرض أساسي، وغيره ثانوي، ولا عجب في ذلك، فقد "قضى شاعرنا نحو ثلث قرن وهو ينظم الشعر الوطني في أحداث بلاده، ويهيب ببني وطنه وقومه، أن يتنبهوا للمصير الذي كانوا يُدفعون إليه، ويصرخ فيهم أن يوحدوا كلمتهم، ويجمعوا صفوفهم، ويلتفوا حول قيادة حكيمة، تنظمهم، وتسير بهم في طريق النصر"[٣٥]. لذلك نراه لا يترك مناسبة وطنية تمرّ دون أن يسمع أبناء قومه صوته الداعي إلى الوحدة والثورة. "فكان بذلك أحد أولئك الشعراء الخطباء والمعلمين، الذين تحتاج إليهم الأمة حينما تكون على ما كانت عليه الأمة العربية في أقطارها المختلفة، خاصة فلسطين"[٣٦].

لقد كان العبوشي في شعره الوطني والقومي يستنهض الهمم، ويحث على الجهاد من أجل تحرير فلسطين، ويدعو الشباب إلى نبذ اليأس والخنوع. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الغرض الوطني تزاوج مع الأغراض الأخرى، ففي الغزل مثلاً، نراه يتغزل في مدن وطنه وقراه، وفي الرثاء نراه يرثي الشهداء، وفي الفخر، يفتخر بالتضحيات، وبالمقاومة، ومن أمثلة ذلك قوله:

مَا للهوى يُشْجِيكَ في بِيسَـــان ويثيرُ فيكَ حَمِيَّة الشُّجْعَان[٣٧]

وفيما يتعلق بغرض شعر "النكاية"، فهو باب جديد في الشعر الحديث، وأطلق عليه العبوشي اسم "الهتلريّات"، وبلغ عدد قصائد شعر "النكاية" خمس قصائد، ومن الأمثلة عليها قول الشاعر في قصيدة "هتلر":

Digitized by Birzeit University Library

إلى أَيْنَ ماض أنتَ قُل لي إلى أَيْنَا أخافُ عَليكَ الأذنَ والقلبَ والعينَا

أذلَّ فَرَنْسا في ثَمَانٍ وَهَـــذه نساءُ فَرَنْسَا بالزعيم تَحَامَيْنَا

أقضّ مَقَامَ الإنجليزِ وَقَدْ غَـــدَا جَلالتُهُ أنّى استغاثَ فَلاعَوْنا[٣٨]

لقد نظم هذه القصائد نكاية بأعدائنا، الذين أضاعوا فلسطين، وغيرها من الأقطار العربية. فمثلاً: قصيدة "هتلر" نظمها يوم اجتاح هتلر "بولونيا" ، ففرنسا، واعتقد أن فرنسا ستسحب جيوشها من سوريا ولبنان، فيستقل كل منهما، وينطبق الأمر نفسه على بريطانيا، فتتحرر فلسطين ولا تعود مستعمرة للإنجليز.

وإذا عرّجنا على شعره المسرحي، فإننا نجد له أربع مسرحيات شعرية، هي: وطن الشهيد، وشبح الأندلس، وعرب القادسية، والفداء[٣٩].

ويعدّ العبوشي من أوائل المسرحيين، الذين كتبوا عن فلسطين، وصوّروا أحداثها مسرحياً، وهذا إبداع جليل يسجّل للعبوشي، رغم اعترافه بمواضع النقد الكثيرة في مسرحياته.

آثاره

أولاً: المدونات الشعرية:

١) مدونة "جبل النار"، مطبعة الشركة الإسلامية - بغداد - ١٩٥٦.

أُقدم توصيفاً جغرافياً لهذه المدونة البكر: تقع المدونة في مائة وثمانٍ وعشرين صفحة من القطع المتوسط، أشرف على جمعها الشاعر نفسه، وقد ضمّت اثنتيْن وسبعين قصيدة ومقطوعة، وقد بلغ مجموع

Digitized by Birzeit University Library

أبياتها ألفًا ومائة وتسعة عشر.

تقوم مقدمة المدونة؛ التي احتلّت أربع صفحات، بين قوله تعالى: "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" و "إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص"[٤٠]، وقد تناول فيها الشاعر فيما تناول سبب تسميته المدونة بـ "جبل النار" فيقول: "أسميتُ ديواني جبل النار اعترافاً ببسالة أهله.

استناداً إلى الفهرست يقسّم الشاعر مدونته على النحو الآتي:

(١) الفلسطينيات

تقع في ثلاث عشرة صفحة (٨-٢١)، وتجمع ثماني قصائد مزجتْ بين الماضي المُستدعى في جانبيْه المضيء والمعتم، والحاضر المقيت؛ فالأرض تُباع، ويُستباح الحمى، والشر أبدى نواجذه، والخطر يداهمنا، والعرب ساهون لاهون ... من ذلك قوله:

مرج ابن عامر باعتْ مجـدك العرب واستأسد الغرب والشرق يحترب[٤١]

(٢) العراقيات

تقع في عشرين صفحة (٢٣-٤٣)، وتجمع ثلاث عشرة قصيدة. يقول في إحدى قصائدها:

إني أحـبك رغبـــة ومحبـــة فتصرّفي بدمي بلا إشفاق

نفسي أعز من الجبال فـلا أرى أحـداً أديـن لـه سـوى الخلاّق

Digitized by Birzeit University Library

أدبي وديني سالمان وإنْ أكـــن بالمال قد منّيْت بالإخفاق[٤٢]

(٣) متفرّقات

تقع في خمس وثلاثين صفحة (٤٦-٨١)، وتجمع ثلاث عشرة قصيدة، وأربع مقطوعات. تطرح قضايا مهمة كوجوب محاكمة باعة فلسطين، ولزوم التحول من الخطابة الرنانة إلى العمل الفعلي، وضرورة حماية الطالب الفقير ورعايته ... يقول في بطاقة العيد:

لا عيد للمفجوع في استقلاله فإذا استقل فكل يوم عيد[٤٣]

(٤) الشاميات

تقع في ثلاث صفحات (٨٤-٨٧)، وتجمع قصيدتين. يقول في الأولى:

تعاليـت لا أبكيك ميتـاً وإنمـا أهنيك إذ أمّنت لحدك في الحمى[٤٤]

ويقول في الأخرى:

حنت دمشق فسارت بالبهاليـــل إلى فلسطين أخت الشام والنيل[٤٥]

(٥) المصريات

تقع في خمس صفحات (٩٠-٩٥)، وتجمع أربع قصائد. يقول في الأولى:

سرى الركب مشتاقاً يحنّ إلى مصر يزفّ سلام القدس للبلد النضْر[٤٦]

Digitized by Birzeit University Library

ويقول في الثانية:

والحر يفخر بالجراح وذو المهانة بالنواح[٤٧]

(٦) شعر النكاية

يقع في أربع صفحات (٩٦-١٠٠)، ويجمع خمس قصائد تناولت نكايته بالبريطانيين والفرنسيين، وتأييده للألمان في الحرب العالمية. يقول في قصيدة "هتلر":

لشعبك ثارات تريد سدادها فلم تلق مثل الجيش ينجزك الدّينا[٤٨]

(٧) بقية الفلسطينيات

تقع في خمس وعشرين صفحة (١٠١-١٢٦)، وتجمع عشر قصائد توزّعت بين الوطنيات بعامة، والمرثية المدحية بخاصة، ومقطوعة واحدة في ولده حسن، يقول فيها:

حسنٌ هلّ فأرحبْ بالحسنْ إنه نور مبيد للحزنْ[٤٩]

وتنتهي المدونة في صفحتها الأخيرة بالأخطاء وتصويباتها.

٢) ديوان "النيازك"، بغداد، ١٩٦٨.

يقول:

هذا الدخيل لقد تربص أن يرى فينا الشقاق ليستبد ويظلما

فَلِمَ التنابذ والشقاق وأفقنا من جهلنا أضحى علينا مظلما

Digitized by Birzeit University Library

ضاع الذي قد ضاع فليبق الـذي يـؤوي حفيدكم إذا ما يُتما[٥٠]

٣) ديوان "إلى متى"، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٢.

يقول في الشهيد الشاعر عبد الرحيم محمود:

عبد الرحيم عجيب أمـري إنني قـد بـت بـعـدك أكـره الأيـامـا

قد كنت أرجو أن أنال شهـادة ألـقـى بـهـا ربـي أعـز مقـامـا

وسبقتني فغنمت دار كرامـة الله يجزي من أناب وساما[٥١]

٤) ديوان "جنود السماء"، لجنة التراث الأدبي الفلسطيني، ط١، ١٩٨٥.

ما يميزه على وجه التحديد والحصر أنّ في أوله تضميناً شعرياً على وزن واحد وقافية واحدة لأسماء سور القرآن الكريم؛ ذلك أن موضوع الديوان "يتصل بنور الآيات الكريمة، وقصائد الحج المبارك، وقلت في نفسي إن جنود الأرض الذين يجاهدون في سبيل الله، ويستشهدون قريبون بثوابهم من الملائكة جنود السماء".[٥٢]

الفرقان

إله العرش يا مـن مدّ بحـراً من الغفران أرجو منك غَفْرا

الفاتحة

وأنزلت الكتاب هدى ونـورا بـفـاتحة تـزيـد الـقـلـب بـشـرا

Digitized by Birzeit University Library

مضى موسى يهديهمُ فطاشـوا وهـمـوا فـي رسـول الله نُـكْـرا

وهكذا دواليك إلى أن ينهي سور القرآن الكريم، ليلج إلى قصائد الديوان التي منها قوله في قصيدة " تململ الليث"، ومناسبتها هجوم العرب في مصر والشام على العدو المشترك في السادس من رمضان عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة وألف:

تململ الليث واستشرى فتى مُضر وهبّ من نومةٍ كانت على قَدرِ [٥٣]

ثانياً: المسرحيات الشّعريّة:

١) "وطن الشهيد"، القدس، المطبعة الاقتصادية، ١٩٤٧.

تقع في ثلاث وثمانين صفحة من القطع المتوسط، صادرة عن المطبعة الاقتصادية – القدس– ١٩٤٧. فيها فصول أربعة، ينهض الأول منها على مشاهد أربعة، والثاني والثالث والخامس على ثلاثة، والرابع على مشاهد ستة.

٢) "شبح الأندلس"، بيروت، مطابع دار الكشاف، ١٩٤٩.

تقع في خمس وسبعين صفحة من القطع المتوسط، صادرة عن دار الكشاف في بيروت عام ألف وتسعمائة وتسعة وأربعين. استوحى موضوعها من عذابات فلسطين بعامة، ومعركة جنين بخاصة [٥٤].

٣) "عرب القادسية"، بغداد، الشركة العربية الإسلامية، ١٩٥١.

Digitized by Birzeit University Library

٤) "الفداء" ... ١٩٦٨ .

ثالثاً: المذكرات

"من السَّفح إلى الوادي إلى صوت أجدادي" .

ظواهر أسلوبية

بالنظر إلى الموسيقى التكوينية، نجد بنيات بديعيةً، وأخرى موسيقية قد فرضت حضورها داخل أبيات القصيدة الواحدة، كمكون رئيسي في البناء الموسيقي التكويني وذلك على نحوٍ من:

(١) بنية التكرار

وهي تقنية ترتكز إلى تكرار ذكر مفردة، أو عبارة، أو تركيب، أو جملة بملفوظها ومدلولها في مكان آخر، أو أماكن أخرى في القصيدة. تُعدّ هذه البنية ذات حضور فاعل وممتد في جسد القصيدة؛ فقد اعتمد عليها برهان الدين اعتماداً جعل منها تقنية فنية أقام بها قصائده.

لقد أخذ التكرار أنماطاً معينة، عملت على إثراء الإيقاع، والمحمول الدلالي معاً، معززاً – أيضاً – بنية القافية في بعدها الموسيقي. تكشف لنا عملية تتبع هذه البنية في "جبل النار" على سبيل المثال، عن أن الشاعر قد تعامل معها في أنماط معينة، تفاوتت في نسب شيوعها من مكان إلى آخر في الديوان، وذلك وفق متطلبات السياقات، واحتياجاتها التعبيرية، بحيث يمكن تأطير هذه الأنماط على النحو الآتي:

Digitized by Birzeit University Library

أ- بنية رد العجز على الصدر

وتعني "إرجاع العجز للصدر بأن ينطق به كما يُنطق بالصدر، دون أن يُستغنى بأحدهما عن الآخر"(٥٥).

ب- بنية المجاورة

وهي بنية تكرارية ترتكز إلى تجاور داليْن مفرديْن أو أكثر على امتداد الشطر الشعري، أو البيت الشعري، ورأسياً على امتداد الأشطر المتتابعة، أو الأبيات المتتابعة.

ج- بنية التكرار الخالص

وهي بنية تصدير حرة تمثل مظهراً موسيقياً خاصاً بالمقطع، وتتخذ أشكالاً مختلفة؛ منها أن يرد الدال في أول الصدر، وفي آخره.

د- تكرار الجملة أو ما دونها

وهو نمط من تركيب أو عبارة مكررة على مسافات متباينة قرباً وبعداً من عنوان القصيدة؛ إذ لا يلبث أن يظهر المكرر، حتى يختفي، ليعاود الظهور بين الفينة والأخرى، وهو بهذا الحال من الظهور والاختفاء، يُبقي المتلقي حاضر الذهن والعاطفة، مشدوداً - على الدوام - إليه، إلى أن تنتهي القصيدة.

(٢) بنية التصريع

وهي تصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها، رغبة في إنتاج إيقاع واضح في مطلع القصيدة، ليرتفع الإيقاع،

Digitized by Birzeit University Library

جراء تآلف العناصر، وليقيم ارتباطاً تلازمياً بالسلوك الشعري التقليدي، الذي يُعد التصريع تقنية أساسية في التشكيل الموسيقي المزدوج؛ التكويني والإطاري، وفق ما يتطلبه الموقف؛ فالحالة الشعورية والفكرية في أبعادها الوطنية والقومية وإفرازاتها المختلفة، تتطلب نبرة حماسية متمردة، ثورية غاضبة، تستدعي إيقاعاً متميزاً ذا وضوح سمعي، رغبة في التأثير الفاعل في أذن المتلقي، وبالتالي في وجدانه، بما يوجهه نحو المحمول الدلالي في القصيدة؛ فبمجرد الولوج إلى القصيدة يُواجه المتلقي بهذا الإيقاع المُعزز بالقافية الموحّدة على وجه الخصوص.

(٣) بنية التدوير

وهي "إزالة الحاجز الجزئي الذي يقوم بين شطري البيت، وإخراجه في قالب واحد، يصل بين صدر البيت وعجزه لفظ مشترك بينهما، ويعد نوعاً من الخروج بالقصائد عن نسقها العمودي الثنائي، إلى نسق عمودي جديد موحد الإطار"[٥٦]، مما يسمح بتدفق عدد من التفعيلات المتلاحقة دونما سكتة في نهايات الصدور، فتكتسب – بهذا – نغماً إيقاعياً مميزاً مبايناً لتلك الصدور التي لم يقع التدوير فيها.

دوّر برهان الدين العبوشي في تسع قصائد، بمجموع سبعين بيتاً. منها قصيدة "ذباب"[٥٧] التي دور فيها ثلاثين بيتاً، وقصائد: "الوطن المبيع"، "ليلى العراق"، "حيّ العراق"، "أنجدوا الجزائر"[٥٨] التي دور في كل منها بيتاً واحداً.

Digitized by Birzeit University Library

(٤) بنية الجناس

لقد وجّه الشاعر الفلسطيني جلّ إمكاناته اللغوية لإنتاج التماثل الصوتي في نهايات أبيات قصائده، ليحقق نظام القافية المطلوب. وتأكيداً لهذه الغاية، فقد عمد إلى تقنية مهمة هي "بنية الجناس"[٥٩] بين دوال قوافيه، وذلك بالتزامه التزاماً كبيراً بما يسبق الروي من أصوات إضافية أخرى كالردف والتأسيس[٦٠]، فزاد من فرص وقوع الجناس بين قوافيه.

تكشف عملية تتبع وقوع الجناس بين دوال القوافي عن كثرة شواهده، وتعدد أشكاله المتراسلة والقاعدة العامة، المؤسسة لنظام التقفية المُرْتَكِز إلى مبدأ التماثل الصوتي، إضافة إلى ما ثبت من التزام الشاعر بعرف القافية الخليلي.

لقد انتشر الجناس على مساحات أربع وعشرين قصيدة من قوافي الشاعر برهان الدين العبوشي، بما يؤكد انصرافه بوعي إلى الجناس كتقنية، يستهدف بها تكثيف إيقاعاته، وتنويع تشكيلاتها. ومن أمثلته السياق التالي الذي تبين وظيفة الجناس فيه:

ألمْ يعد الجبّارُ قومَ محمّـــد بنصرٍ إذا جدّوا وجادوا بأثمنِ[٦١]

يجمع الشاعر بين دالين متجاورين أفقياً "جدوا وجادوا" بتماثل صوتي عام، وتخالف صوتي خاص، تمثل في صوت "الألف" في الدال الثاني، التي أدت إلى تخالف المعنى بينهما؛ فمدلول الأول هو الجد والمثابرة والاجتهاد، في حين مدلول الآخر هو العطاء السخي، أو الجود بالنفيس.

Digitized by Birzeit University Library

يقول في قصيدة "أمة الحرب"(٦٢):

لا تعقـــوا بلادكـــم يا بنيهـــا إنّ مَـــنْ عقـها يـعـقّ الإلاهـا

مثّل النداء خاتمة الصدر الذي مثلت مطلعه صيغة النهي، ما يدل على أن النداء ذو أهمية ثانوية، قياساً بأهمية متصدر المطلع، لكونه هدفاً مرغوباً فيه. إن المقصود بالنداء قد عُيّن بضمير الجمع (الواو/ الفاعل)، وإظهاراً للمنادى في بعده النحوي والبلاغي، عمد الشاعر إلى استخدام صيغة النداء (يا بنيها) المنادى المضاف، وذلك تخصيصاً للفاعل، وتقييداً له في كونه مركز التوجه الطلبي (لا تعقوا).

ويقول في القصيدة ذاتها:

أيها النائمون مـــن آل قومـــي يـا أذلاءُ ذُلّـكـم قـد شجاها

ينادي الشاعر في الصدر النائمين من قومه ويناديهم بـ "يا أذلاء" في مطلع العجز تأكيداً لمدلول النائمين سياسياً المتمثل في الذل. بهاتيْن الصيغتيْن يهيئ الشاعر المتلقي لتركيز الانتباه في المنادى انتظاراً لرسالة ستلقى لاحقاً؛ حيث يمثل النداء في مطلع الصدر والعجز نقطة مركزية في إنتاج الدلالة؛ فعليه تنبني معاني الأبيات اللاحقة، لتتجمّع هذه المعاني إلى بعضها مُخْرجة ناتجاً دلالياً كلياً؛ فالمنادى صابر على الخنوع، لا يحرك ساكناً تجاه الخصم، ليكون النداء - بذلك - مركز إنتاج دلالي لخمسة أبيات لاحقة. وقد أفاد الشاعر بهذا النداء معنى الإهانة والتحقير.

Digitized by Birzeit University Library

الاستفهام

يقول في قصيدة "ذباب" (٦٣):

متى سنشبـــع في البـــلادِ ونـحـن نـقـعـي كـالـكـلابِ

جاء الاستفهام متصدراً البيت، ومتبوعاً بفعل الاستقبال (سنشبع) المتبوع بالجار والمجرور المحقق مكان الفعل، حيث متى – هنا – تفصح بجلاء عن المراد بهذا الاستفهام؛ فقد خرجت الصياغة بمتى من معناها الأصلي [تعيين زمان الفعل ماضياً كان أو مستقبلاً]، إلى معنى آخر جديد يناسب المقام؛ فالشاعر يستبعد تحقق الفعل (نشبع) في هذه البلاد المحتلة، والجملة الحالية "ونحن نقعي كالكلاب" تؤكد هذا المعنى وتظهره، وتضيف إليه معنى [التقريع]؛ فما دمنا نطلب الطعام من المحتلين فلن نشبع؛ لأننا –والحالة هذه – نكون شحاذين يتجمّل علينا البعض، ويمنّ علينا البعض الآخر، وآخرون ينهروننا؛ إنها حالة الذلّ الذي لا يحقق حياة كريمة. إن في هذا التقريع حثاً على العمل الجاد لنيل لقمة كريمة، لا تتأتى إلا بمقارعة الاحتلال، والتحرر من عبوديته.

التناص باشكاله القرآني والنبوي والأدبي والتاريخي

يقول في قصيدة "حنت دمشق" (٦٤):

نعيد للعرب الأحـــرار عزتهـــم ونمحق الظلم نرميه بسجيل

يمتاح الشاعر مفردة "سجيل" من قوله تعالى في سورة الفيل :آية ٤ "... ترميهم بحجارة من سجيل..." ويدمجها في نصه الشعري، على

Digitized by Birzeit University Library

سبيل التوافق الدلالي والنحوي. إن الظلم الأجنبي مخيم، ولا بد من آلية تأتي بمقابله [العدل الساطع] ، ولم يتأت هذا للشاعر إلا باللجوء إلى القرآن الكريم، تمثلاً للفعل الإلهي الذي دمر أبرهة وآلته العسكرية، وأبقى بيته قائماً قبلة للناس. إن في هذا استمداداً معنوياً، يشحن النفس إيماناً بأن الله مع الجماعة، ما دامت معه؛ فالشاعر يُقارب الواقع بالماضي، على اعتبار ما يجب أن يكون، من عودة للعزة والحرية والعدل بشمولية معاني هذه الدوال. بهذا، تمكن الشاعر من الولوج إلى وجدان المتلقي وذهنه، لما لمفردة "سجيل" من رصيد إيجابي مؤثر في الوعي الجماعي لجمهور المخاطبين.

كان برهان الدين العبوشي ذو رأي راءٍ في الشعر يبيّن التزامه الديني وما يترتب عليه من مفاهيم أخلاقية واجتماعية، يقول في مقدم ديوان "جنود السماء": "الشعر شعور، وليس الشعور ما تعوده المارقون من التهتك بذكر العيون النجل، والشفة المصبوغة، والخصر البتيل مما ذمه المتنبي حين وصف جمال بنات البادية ... الشعور الحق ينبع من شرف الشاعر وضميره، وتعلقه بآلام أمته وأفراحها، وبقضايا وطنه ومصير أهله، وتشردهم وترحالهم الدائم من قطر إلى قطر، ومن عذاب إلى عذاب"[٦٥]. يقول في مسرحية "شبح الأندلس"[٦٦]:

دع عنك نظم الشعر وانهض للوغى ... فهناك تكمُلُ دولة الأشعار

الشعر ناقوس النيام وإنه ... في الظالمين كصارمٍ بتارِ

أرى أدباءنا هاموا ... بذكر الوصل والصد

Digitized by Birzeit University Library

كان المجـــــد موكـــــولٌ بـــوصـف الـنـحـــر والخـــد

فما النار إلا من لهيب صدورنا وذا عنتر العبسي منا وأحمد (٦٧)

وانتقل شاعرنا الملتزم بجغرافيته الممتدة وقضايا إنسانها إلى الرفيق الأعلى عام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين، تاركاً رصيداً من الإبداع المواكب لحال هذا الزمان...! وواصفاً شعره بقوله: "لم أكن لأجهد نفسي في تزويق شعري...، ولم أكن ليقال إني شاعر، بل هي ثورات نفسية عاطفية منطقية، تجيش في صدري فأنفثها لأبناء الشعب على اختلاف مداركهم ليفهموها لأنها نتيجة آلامهم وخلاصة أوطانهم"(٦٨).

الهوامش

(١) خواجة، علي، التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث، مخطوطة، المقدمة، ص د. (٢) دعمس، أحمد، من صور بناء الجملة في الشعر الفلسطيني الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة السودان، ٢٠٠٦، ص٢٠؛ نقلاً عن: أبو الشباب، واصف، شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٨١، ص٢٣٩؛ وانظر، صدوق، راضي، شعراء فلسطين في القرن العشرين، مرجع سابق، ص١٢٣. (٣) أنظر، واصف أبو الشباب، شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص٣٩ وفرهود، كمال قاسم، أعلام الأدب العربي الحديث، حيفا، مكتبة كل شيء، ١٩٨٩، ص٧٢. (٤) العبوشي، برهان الدين، مسرحية وطن الشهيد، المطبعة الاقتصادية، القدس، ١٩٤٧ ص١٠. (٥) العبوشي، برهان الدين، ديوان جبل النار، بغداد، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر، ١٩٥٦. (٦) دعمس، أحمد، من صور بناء الجملة في الشعر الفلسطيني الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة السودان، ٢٠٠٦، ص٢١. (٧) عودة، هشام، صفحات مطوية من حياة الشاعر برهان الدين العبوشي، مجلة بلسم، العدد ٣٠٦، كانون الأول، ٢٠٠٠، ص٨٥. (٨) ديوان "جبل النار"، مصدر سابق، ص٦٧. (٩) الهواري، عرفان سعيد أبو حمد، أعلام من أرض السلام، شركة الأبحاث العلمية، حيفا، ١٩٧٩، ص٨٨. (١٠) البدوي الملثم، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، مرجع سابق، ص٤٤٣٠ وانظر، حمادة، محمد عمر، أعلام فلسطين من القرن السابع

Digitized by Birzeit University Library

حتى القرن العشرين، مرجع سابق، ج٢، ص١٩. (١١) مطالع أنشولوجيا الشعر الفلسطيني في ألف عام، من (٩٠٨ - ١٩٣٦)، ط١، دار عربسك، حيفا، ١٩٩٠، ص١٢٩؛ وأنظر، شاهين، أحمد عمر، موسوعة كتّاب فلسطين في القرن العشرين، مرجع سابق، ج١، ص١٤٨- ١٤٩. (١٢) ديوان جبل النار، مصدرسابق، ص٣. (١٣) العبوشي، برهان الدين، مسرحية شبح الأندلس،مطابع دار الكشاف،بيروت، ١٩٤٩ ، ص٢٣-٢٤. (١٤) ديوان "جبل النار"، مصدر سابق، ص٦-٧. (١٥) أنظر، فرهود كمال قاسم، أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، مرجع سابق، ص٧٢؛ وشاهين، عمر أحمد؛ موسوعة كتّاب فلسطين في القرن العشرين، مرجع سابق، ج١، ص١٤٨. (١٦) عبد الستار، إبراهيم، شعراء فلسطين العربية في ثورتها القومية، نادي الإخاء العربي، حيفا، ١٩٤٧، ص٥٧. (١٧) العبوشي، مسرحية شبح الأندلس، مصدر سابق، ص٦١. (١٨) ديوان "جبل النار" ، مصدر سابق ، ص١٠. (١٩) المصدر السابق نفسه، ص١٠٣. (٢٠) المصدر السابق نفسه أيضاً، ص١١٢. (٢١) مسرحية "وطن الشهيد"، مصدر سابق، ص٣٥. (٢٢) ديوان "جبل النار"، مصدر سابق، ص٩. (٢٣) المصدر السابق نفسه، ص٢٣. (٢٤) المصدر السابق نفسه، ص٣٨. (٢٥) المصدر السابق نفسه، ص٩٦. (٢٦) المصدر السابق نفسه، ص٦. (٢٧) الأسد، ناصر الدين، الحياة الأدبية الحديثة في فلسطين، والأردن حتى سنة ١٩٥٠ ، ط١، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠، ص٤٧٦. (٢٨) الأسد، ناصر الدين، محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن، معهد الدراسات العربية العالية، بدون طبعة، ومكان نشر، ١٩٦٠، ص٢٥٨ . (٢٩) المرجع السابق نفسه، ص٢٥٨. (٣٠) المرجع السابق نفسه، ص٢٥٨ - ٢٥٩. (٣١) مسرحية "شبح الأندلس"، ص٣٣. (٣٢) الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط٢، دار الفكر - بيروت - ١٩٧٠، ص٢٤٦. (٣٣) أنظر: جبل النار، ص ص١٦-٢٢، وص ص ٢٣-٣١، وص ص ٧٨-٧٩، كنماذج شعرية دالة. (٣٤) هو باب جديد في الشعر الحديث، حيث ينظم الشاعر قصائد في مدح أعداء عدّوه، مثل القصائد التي نظمها برهان بعنوان الهتلريات، والتي يمتدح فيها هتلر نكاية بالإنجليز الذين أضاعوا فسطين. (٣٥) الأسد، ناصر الدين، محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن، مرجع سابق، ص٢٥٧-٢٥٨؛ وأنظر أيضاً، البدوي الملثم، إبراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته، ط١، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٦٤، ص٥٦. (٣٦) الأسد، ناصر الدين، الحياة الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن حتى سنة ١٩٥٠، مرجع سابق، ص٤٧٦. (٣٧) ديوان "جبل النار"، مصدر سابق، ص٢١. (٣٨) المصدر السابق نفسه، ص٩٦. (٣٩) أنظر، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الرابع، ص١٥٨. (٤٠) المقدمة، ص٣-٧. (٤١) قصيدة "المرج الحزين"، ص١١. تتكون من ستة وثلاثين بيتاً.

Digitized by Birzeit University Library

(٤٢) قصيدة "ليلى العراق"، ص٢٣-٢٤. قالها سنة ١٩٣٩ إثر نزوح الفلسطينيين من لبنان إلى العراق، بعد خروج الشاعر من معتقل المزرعة الذي أمضى فيه عشرة أشهر. (٤٣) ص٤٦.

(٤٤) قصيدة "إليكم يا شباب الشام"، ص٨٤. نظمها الشاعر في دمشق سنة ١٩٤١؛ لتلقى في ذكرى مرور أربعين يوماً على وفاة رشدي باشا الصفدي. لم تسمح السلطات الديغولية بذلك. تنهض القصيدة على أربعين بيتاً. (٤٥) قصيدة "حنت دمشق"، ص٨٧. القاها الشاعر في جمعية العمال العرب بحيفا في ١٩٤٤/٦/١٨، احتفاءً بجماعة النادي الأهلي الدمشقي، حيث كان الأرز والسكر بوزعان بالبطاقات. (٤٦) قصيدة "فإنْ تسلمي يا مصر فالشرق سالم"، ص٩٠. القاها الشاعر من محطة الإذاعة المصرية في القاهرة، في شهر تشرين ثان عام ١٩٤٥، حيث كان مرافقاً الكشافة الإسلامية، واحتفل الشعب المصري بهم أبلغ احتفال، وخطب في جماعة "الإخوان المسلمون"، وجماعة "الشبان المسلمون"، الذين استضافوا الشاعر والكشافة. (٤٧) قصيدة "مَنْ ذا المهرول للكفاح" أو "فلتحي مصر"، ص٩١. قالها بمناسبة العدوان الثلاثي الغاشم. نشرها في صحيفة "اليقظة" عدد ٢٦٤٤، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٤. (٤٨) ص٩٦. نظمها نكاية باعدائه الذين أضاعوا فلسطين وغيرها، مع أنه يكره كل استعمار مهما كان لونه. (٤٩) قصيدة "ولدي حسن"، ص١٠٨، حسن ابنه الثاني المولود في المستشفى الملكي في بغداد في ١٩٥٤/١٢/١٣، بعد وفاة جدته لأمه مريم حديد بستة أيام، وكان الشاعر في ذلك الحين يدرّس في متوسطة السدة في النجف. (٥٠) ص٢٠ (٥١) ص١٨ (٥٢) المقدمة، ص ٩-١٠. (٥٣) ص٢٦ وعدد أبياتها ثمانية وخمسون. (٥٤) لمزيد من التفصيل أنظر: السوافيري، كامل، الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة ١٨٦٠ - ١٩٦٠، دار المعارف - القاهرة - ص١٥٩-١٦٠. (٥٥) حاشية الدسوقي ضمن كتاب "شروح التلخيص" عيسى الحلبي وشركاه - مصر - ج٤، ص٤٣٣.

(٥٦) سليمان، فتح الله، الأسلوبية، مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ١٩٩٠، ص٥٧. (٥٧) ص ٤٣. (٥٨) ص١٦ و ص٢٣ و ص٢٨ و ص٧٨ على الترتيب. (٥٩) "كشف ثنائي في الاختلاف الدلالي من خلال التشابه الصوتي" أنظر: المصري، يسرية، بنية القصيدة في شعر أبي تمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧، ص١٧٥. (٦٠) الردف هو أن يسبق حرف مد صوت الروي سواء أكان هذا الروي ساكناً أم متحركاً. التأسيس هو توسط صامت بين اللف وحرف الروي.

(٦١) قصيدة "طبريا" ص١٤. (٦٢) ص٨. (٦٣) ص٤٣. (٦٤) ص٨٧. (٦٥) ص١٠-١١ (٦٦) ص٣٠ (٦٧) أحمد بن الحسين الشاعر أبو الطيب المتنبي. (٦٨) مقدمة "جبل النار، ص٦.

Digitized by Birzeit University Library

الفهرس

مقدمة ____ ٣
سيرته ____ ٤
نضاله وفكره ____ ٧
شعره ____ ١١
مدوناته الشعرية ____ ١٥
مسرحياته الشعرية ____ ٢٠
ظواهر أسلوبية ____ ٢١
التناص بأشكاله المتعددة ____ ٢٦

Digitized by Birzeit University Library

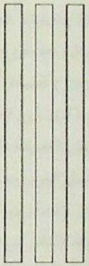

المكتبة الأهلية

صدر عن هذه السلسلة

١. عز الدين القسام
٢. عبد الرحيم محمود
٣. غسان كنفاني
٤. كمال ناصر.
٥. عبد القادر الحسيني
٦. محمد إسعاف النشاشيبي
٧. إحسان عباس
٨. نقولا زيادة
٩. توفيق زيّاد
١٠. روحي الخالدي
١١. راشد حسين
١٢. نجاتي صدقي
١٣. برهان الدين العبوشي
١٤. بندلي الجوزي
١٥. إبراهيم عيّاد
١٦. ظاهر العمر الزيداني

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

كلمة المركز

هذه سلسلة كُتيبات نتوجه بها إلى القارئ العادي أولاً، تُعنى بتقديم قيمة معرفية عن فلسطين، من خلال إلقاء حزمة ضوء على حياة أعلام الفكر والأدب والنضال الذين غابوا عنّا، وتركوا لنا بصماتهم الواضحة في تاريخنا الثقافي في مجالاته المختلفة، أولئك الذين حملوا مشاعل النهضة بكل جدّية وصدق، ثم سلّموها للجيل الذي تلاهم.

كما تُعنى بالمدن والقرى الفلسطينية، وبالمعارك الكبيرة والصغيرة التي خاضها شعبنا على مدار حقبة طويلة من الزمن، من أجل بقاء فلسطين حاضرة في القلب والوعي والضمير، ذلك أن العدو الإسرائيلي لم يكتف باحتلال الأرض وتدمير القرى، إنما سعى أيضاً إلى إلغاء الأسماء وتشويه الوقائع والتراث، وتدمير الثقافة الفلسطينية.

وانطلاقاً من الواجب الوطني في إبقاء الذاكرة الفلسطينية حيّة ويقظة، ومن أجل ثقافة وطنية، فإن المركز الفلسطيني للبحوث [redacted] الاستراتيجية، يسعى نحو تقديم التراث الوطني عَبر هذه [redacted] معتمداً المعلومات الضرورية وبساطة الأسلوب ويُسر المعالجة.

رئيس المركز

د. محمد المصري

المركز الفلسطيني
للبحوث والدراسات الاستراتيجية

Digitized by Birzeit University Library